



yehiatrakhawy@hotmail.com

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

### مقدمة:

بالرغم مما يبدو ظاهرا من سلبية الدور الذي تقوم به المرأة في هذه الملحمة الإبداعية الأرقى (الجنس) إلا أنه برغم دور الرجل في الإقدام والمبادأة إلا أن حقيقة الأمر هي أن المرأة هي الأصل، وأن دورها يكاد يفرق دور الرجل في نجاح العلاقة واقتربها من المستوى البشرى (الإبداعي) الذي تقدمه هذه المداخله.

### استشهاد من التراث

المقتطف: تقول: عائشة القرطبية "نزهة الجلساء لأشعار النساء" للسيوطي [4]

"أنا لبوة لكننى لا أرتضى نفسى مناخا طول دهرى من أهد"

ولو أننى أختار ذلك لم أجب كلبا، وقد غلقت سمعى عن أسد"

قضية تحرير المرأة هي من أشهر قضايا التحرير عبر التاريخ، وقد أخذت في مصر حجما خاصا له ذلك، ولنا في هذا الأمر وقفة مبدئية قبل أن نعلن ما أثاره هذا المقتطف من مواقف، ولهذا نبدأ بهذه المقدمة:

(1) إن قضية الحرية (والتحرير) تقتصر على امرأة أو رجل بل هي قضية إنسانية أزلية لها تجليات ومظاهر، بعضها صريح وأغلبها خفى، ولا أحد يمكن أن يكون حرا إلا وسط أحرار، وكل نقص من حرية شخص أو فئة هو نقص من حرية كل فرد في هذا المجموع، لا أحد يتحرر وحده، حتى أننى أرى أن هؤلاء الأبطال الذين حاولوا تحرير شعوبهم كانوا يطلبون نوعا أرقى من الحرية، فلأن تحرر ناسك هو السبيل الأمثل لكى تحرر نفسك.

(2) إن قضية تحرير المرأة في مصر - مثلا - قد سلكت سبيلا مخادعا أحيانا وزائفا أحيانا وسطحيا أحيانا أخرى، وذلك حين ركزت المرأة على مسألة المطالبة بالمساواة بالرجل أساسا. (وهو ليس حرا أصلا، أنظر بعد)

(3) إن المرأة الإنسان التي احتد وعيها فالتقطت وضعها المقهور قد شغلت نفسها بهذا الكفاح أحادي الجانب: "لتحرير المرأة"، وكأن قضية الحرية والتحرير يمكن تجزئتها، وهي لم تركز - بالتالى - على إبداع الحياة الذي هو السبيل الوحيد لتحريرها وتحرير كل الناس نساء ورجالا.

(4) إذن، فلا سبيل لتحرير المرأة إلا بتحرير الإنسان: ولا مفر لتحرير المرأة من تحرير الرجل في نفس الوقت، وقد يثبت بالنظر الأعمق أن الرجل أكثر عبودية، من المرأة المقهورة المصيبة، ولكن السؤال هو: من أين نبدأ؟

بالرغم مما يبدو ظاهرا من سلبية الدور الذي تقوم به المرأة في هذه الملحمة الإبداعية الأرقى (الجنس) إلا أنه برغم دور الرجل في الإقدام والمبادأة إلا أن حقيقة الأمر هي أن المرأة هي الأصل، وأن دورها يكاد يفرق دور الرجل في نجاح العلاقة واقتربها من المستوى البشرى (الإبداعي) الذي تقدمه هذه المداخله

المقتطف: تقول: عائشة القرطبية "نزهة الجلساء لأشعار النساء" للسيوطي [4]  
"أنا لبوة لكننى لا أرتضى نفسى مناخا طول دهرى من أهد"  
ولو أننى أختار ذلك لم أجب كلبا، وقد غلقت سمعى عن أسد

(5) إن المجالت التي تناولت فيها قضية تحرير المرأة دارت أساسا فى فلك الحقوق المدنية، وقانون الأحوال الشخصية، وظروف العمل وما شابه، مع أن إشكالة تحرير المرأة (والرجل) تظهر أكثر ما تظهر فى العلاقات الحميمة التي تصل قمته فى عمق الالتحام الجسدى (الجنس)، ولو أن المرأة (والرجل) انتبها إلى ممارسة الحرية "معا" أثناء ممارسة الجنس، إذن تقتريا من حقيقة العلاقات البشرية الصحيحة، ذلك لأن مجال العلاقة بالموضوع (بالآخر) هو الاختبار الحقيقى لأية حرية مزعومة، إذن، فلا مفر من اقتحام هذه الصعوبة باعتبارها السبيل الأمثل، أو الأساسى، لتأسيس الإنسان،  
فإنما تتأكد أنسنة الإنسان بأمرين:  
الأول: أنه يمكن أن يختار (بسنائر مستويات اختياره) متحمم نتائج ذلك،  
والثانى: أن يمارس هذا الاختيار فى "حضور" آخر له اختياراته أيضا، (المختلفة عادة).

### والآن، نرجع إلى المقتطف:

تأبى المرأة (على لسان عائشة القرطبية) أن تكون "مناخا" لأحد، (لرجل) كائنا من كان هذا الأحد، والمناخ (بفتح الفاء) هو موضع ينخ فيه الجمل، وهو تعبير شديد الدلالة فى هذا الموقف بالذات، وفى ريف بلدنا يسمى مناخا إلى المكان الذى اعتاد أن "ينخ" فيه الجمل، وليس أى مكان ينخ فيه والسلام، أى أن الجمل إذا نخ أثناء سيره هنا أو هناك: إلى يعتبر المكان الذى نخ فيه "مناخا"، وإنما يطلق لفظ المناخ عادة على المكان الدائم فى الحظيرة أو خلف الخيمة، المكان الذى اعتاد أن ينخ فيه عند عودته إلى داره (حظيرته)، فتصور معى وضع المرأة فى المنزل، وهى تنتظر جالسة أو مضطجعة، حين يعود بعلمها من شقائه، أو من مزاعم شقائه، مثلما يعود الجمل من رحلته، ثم تكون كل مهمتها أن ينخ عليها متعبا مكدودا، وهى تحته يحيط بها ما يحيط المناخ من بقايا وروائح، هذه صورة مفرزة منفرة لو وعها أى امرأة لأبت أن تتطرح أرضا لأى من كان، وحين وصل الشاعرة القرطبية أن المجتمع أو القيم السائدة أو سوء تفسير الدين يفرضون عليها هذا الوضع، أبت إباء مطلقا، فجعلت هذا الإباء خالدا فى الزمان (طول دهرى)، ثم عممت الرفض على كل الناس "من أحد"، أيا كان هذا الأحد!.

ونلاحظ أيضا أن إباءها تحدد فى أنها تأبى أن تجعل "نفسها" مناخا، وليس فقط "جسدها"، وهذا من أهم ما يغفله الرجل (والمرأة) حين يفصلون الجسد عن كلية الوجود، وحين يوصف الجسد مستقلا عن صاحبه أو صاحبتة، سواء فى قبح استعراض كمال الأجسام للرجال أم فى مسابقات جمال النساء، حين يحدث ذلك يتم اختزال الإنسان رجلا أو امرأة إلى جسد عضلى مقسم، أو ناعم متناسق، وفقط.

وموقفنا تجاه هذا المقتطف المختصر جدا إلى ينظر إليه من وجهة نظر واحدة، فهو بقدر ما فيه من إباء حقيقى، وثورة كريمة، نرى فيه ميلا شديدا إلى ما يعرف باسم "الشيذية" أو العزوف عن العلاقة مع الآخر، أيا كان هذا الآخر. ومن إشكالت هذا العزوف الشيذى [5] أن صاحبه هو الذى يدفع ثمنه، ومن هذا الثمن ما يعانيه من آثار الوحدة والجوع العاطفى وربما خدعة الاستكفاء الذاتى، وكلها أثمان باهظة تجعل صاحبتها (صاحبها) تفكر فى التراجع عن هذا القرار الأبي فتعيد النظر، ولكنها هنا فى هذا المقتطف تؤكد عزوفها عن الجميع حتى تصنف - تخيلا - أن هذا الذى يمكن أن تكون له مناخا، ليس إلى كلبا، وهى قد غلقت نفسها حتى عن الأسد، فتجد مبررا آخر للرفض، وهو أنها "غلقت" نفسها دون من هو أفضل منه، غلقت نفسها عن الأسد شخصيا وهو الأكثر تلاؤما معها وهى اللدوة الأبية، فكيف ترضى بأن تستلقى تنتظر كلبا إلى يساوى.

هذا الموقف الراض قديم عند النساء قدم علاقتهن بالرجال، حتى لو جاء إعلانه بالألفاظ، أو بالكتابة متأخرا، وهو قديم حتى عن نشاطات تحرير المرأة مؤخرا، فرفض المرأة للرجل أقوى من كل حركة تحرير وأقدم، وقد يرجع إلى أنه فى معظم الأحياء ترفض الأنثى - بيولوجيا - الذكر بصفة دائمة، اللهم إلى وقت

إن قضية الحرية (والتحرير) لا تقتصر على امرأة أو رجل بل هى قضية إنسانية أولية لها تجليات ومظاهر، بعضها صريح وأخبرها خفى، ولا أحد يمكن أن يكون حرا إلا وسط أحرار، وكل نقص من حرية شخص أو فئة هو نقص من حرية كل فرد فى هذا المجموع.

إن قضية تحرير المرأة فى مصر - مثلا - قد سلكت سبيلا مخادعا أحيانا وزائفا أحيانا وسطعيا أحيانا أخرى، وذلك حين ركزت المرأة على مسألة المطالبة بالمساواة بالرجل أساسا. (وهو ليس حرا أصلا، أنظر بعد)

لا سبيل لتحرير المرأة إلا بتحرير الإنسان: ولا مفر لتحرير المرأة من تحرير الرجل فى نفس الوقت، وقد يثبت بالنظر الأعمق أن الرجل أكثر عبودية، من المرأة المقهورة المصيعة، ولكن السؤال هو: من أين نبدأ؟

استعداد للتكاثر، وبالنسبة للمرأة فمن البديهي أنه إذا لم يحقق لها الجنس دورا آخر غير التكاثر، فإنها تتردد إلى معظم سابق إناث الأحياء فترفض الجنس إلا للتكاثر، وتختلف مجايات الرفض:

ثم إن لنا ملاحظات على هذا المقتطف كما ذكرنا، ونضيف إليها:

(1) إن الشاعرة قد استعملت - كما ذكرنا - تعبير غلقت "سمعى" مع أنني استقبلته على أنه غلقت "نفسى"، وأحسب أن هذا أشمل، وأنها ما أحلت سمعى محل نفسى إلا لتجنب تكرار لفظ "نفس" فى البيتين، ولكن واقع الحال أن الإغلاق الأهم والأصعب هو إغلاق النفس.

(2) نلاحظ أيضا دقة تعبير "غلقت"، وهو أبلغ وأحسن من تعبيرات أخرى مثل: منعت نفسى، صننت نفسى، حجبت نفسى، فالإغلاق هو فعل شديد الدلالة على ما هو شيزيدى، أكثر من كل ما ذكرنا من بدائل.

(3) نلاحظ أخيرا أن هذه المرأة رفضت أن تكون مناخا، حتى لأسد، مع فخرها بأنها "لبوة" ومع ذلك هى ترفض الأسد إذا اعتبرها مناخا، وهى لم تشر إلى البديل، سواء فى الممارسة الجنسية، أو فى الحياة العامة، وقد شجبت الشاعرة هذا الاحتمال وأن يكون دورها سلبيا: مجرد مكان للإناخة، وهكذا تقفز "اللا" ألف مرة، ويحتد الرفض، دون البحث عن بديل علاقاتى أرقى، أو هو يحتد ليعلن العجز عن ذلك تماما كما هو الحال هنا.

(4) كما يبدو لنا أن هذا الرفض "مبدئى" قبل الاختبار، وهو يختلف عن رفض التى تتزوج (قسرا أو بالصدفة أو بزعم حب قصير العمر) ثم إذا بها تكتشف سلبية زوجها أو بلادته أو قسوته أو اعتماديته، فتتفر منه بعد خبرة حقيقية، ذلك الأمر الذى تمثل فى شعر امرأة عربية أخرى، حملت من مثل هذا الزوج البليد، فراحت تتعى حظها وهى تقوم بعملها المنزلى ناظرة إلى بطنها الممتلئة بالجنين يتكون، فجعلت تتشد:

"وما هند إلا مهرة عربية سليلة أفراس تحللها بغل  
فإن ولدت مهرا فلله نرها وإن ولدت بغلا فجاء به البغل

\*- كتبت هذين البيتين من الذاكرة ثم عثرت على أصل لهما مختلفاً، لعله الأصح، تقول الشاعرة حميدة بنت النعمان بشير<sup>[6]</sup>.

وهل أنا إلا قمره عربية فإن نتجت مهرا كريما فبالحرى  
سليلة أفراس تحللها بغل وإن يك إقرار<sup>[7]</sup> فما أنتج الفحل

كما أن المثل المصرى العامى الذى يقول "قالك إيه يحزر النساء قال بعد الرجال عنهم" إنما يلخص باقتدار ذلك النوع من الحرية الذى يتحقق بالحرمان، وهو حرمان مختار أبى.. الخ، لكنه حرمان على كل حال، ثم إن المرأة قد تكون على حق حين يتخلى الرجال عن زعم أسودتهم، أو يكونوا أسودا ولكنهم يصرون على استعمال المرأة مناخا، فلا يعودون أسودا، فيختفى الرجال كرجال، ويصدق مثل آخر يقول: "قالو لك إيه عيب الرجالة، قالت قلتهم"

( وواصل غداً )

- [1] يحيى الرخاوى، كتاب "الطب النفسى والغرائز (1) غريزة الجنس" (من التكاثر إلى التواصل) و"غريزة العدوان" (من التفكيك إلى الإبداع) منشورات جمعية الطب النفسى التطورى (2022) (تحت الطبع حاليا)

- [2] تحديث محدود لمحاضرة "الغريزة الجنسية" ألقيتها فى منتدى أبو شادى الروبى (15/12/1998) ضمن نشاط محاضرات لجنة الثقافة العلمية: المجلس الأعلى للثقافة.

- [3] يحيى الرخاوى: مجلة "الإنسان والتطور" الفصلية:

إن المجالات التى تناولت فيها قضية تحرير المرأة حاربت أساسا هى تلك الحقوق المدنية، وقانون الأحوال الشخصية، وظروفه العمل وما شابه، مع أن إشكالية تحرير المرأة (والرجل) تظهر أكثر ما تظهر فى العلاقات الحميمة التى تصل قمتها فى عمق الالتحام الجسدى (الجنس).

لو أن المرأة (والرجل) انتبها إلى ممارسة الحرية "معا" أثناء ممارسة الجنس، إذن لاقتربا من حقيقة العلاقات البشرية الصحيحة، ذلك لأن مجال العلاقة بالموضوع (بالآخر) هو الاختبار الحقيقى لأية حرية مزعومة، إذن، فلا مفر من اقتحام هذه الصعوبة باعتبارها السبيل الأمثل، أو الأساسى، لتأسيس الإنسان

عدد أكتوبر 1998 - مقتطف وموقف: "تحرير المرأة بالحرمان"  
- [4] جلال السيوطي " نزهة الجلساء في أشعار النساء"  
- عائشة القرطبية هي أديبة شاعرة كاتبة فنانة، عاشت في القرن الرابع الهجري الذي شهد فيه القطر الأندلسي نهضة علمية واسعة ونشاطاً أدبياً وثقافياً عاماً  
- [5] فضلنا تعريب لفظ Schizoid إلى "شيزيدي" بدق من الترجمة الخاطئة "شبه فصامي" هذا أفضل من اختزال المخل إلى لفظ انطوائي، والظاهرة الشيزيدية تعني عجز الإنسان عن عمل علاقة بالآخر، وهذا العجز الظاهر هو نوع من اختيار الغائر، فهو في عمقه يشمل كلا من العزوف عن عمل هذه العلاقة، والخوف منها في نفس الوقت: (أنظر بقية المتن).  
- [6] حميدة بنت النعمان بن بشير شاعرة عربية من العصر الأموي، لها شعر هجاء في أزواجها الأربعة، إضافة إلى مسجلات شعرية مع اثنين منهم  
- [7] الإقراف: (أقرف له): أي دانه، ومن ذلك الفرس المُقَرَف وهو الذي داني الهُجْنة. ويقال: الإقراف من قبل الأب، والهجنة: من قبل الأم، فإذا كان الأب عتيقا وليست الأم كذلك فالولد هجين، وإن كانت الأم عتيقة وليس الأب كذلك فالولد مُقَرَف.

تتأكد أنسنة الإنسان  
بأمريين:  
الأول: أنه يمكن أن يختار  
(بمناز مستوياته اختباره)  
متعملا نتائج ذلك،  
والثاني: أن يمارس هذا  
الاختيار في "حضور" آخر له  
اختياراته أيضا، (المختلفة  
عادة).

ارتباط كامل النص مع المقتطفات:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD200822.pdf>

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقبيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2022 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثاني عشر)

الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 20 على الوجود

22 عاما من الضج... 20 عاما من المنجزات

( التأسيس: 2000/01/01 - على الوجود: 2003/06/13 )

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

كتاب " حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

التحميل من الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AIHassad2021.pdf>

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2022 ( الفصل السابع: من الكتاب السنوي للشبكة )

التحميل من الموقع العلمي

<http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf>

سلسلة الاصدارات المكتبية " الانسان والتطور " - يعيى الرخاوي

على موقع الأستاذ الدكتور يعيى الرخاوي

[www.rakhawy.org](http://www.rakhawy.org)

على المتجر الإلكتروني لمؤسسة العلوم النفسية العربية

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=20&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=20&controller=category&id_lang=3)

على شبكة علوم النفس العربية

<http://arabpsynet.com/Rakhawy/IndexeBRak.htm>